

الحديث ذو شجون للككتور زكي مبارك

انتخاب بطريرك الأقباط — أسئلة وأجوبة توضح
المشكلة القبطية — بين الممنة والطبع — موقفة
المدلين — اختيار لون الموت يدل على حيوية الذوق

انتخاب بطريرك الأقباط (١)

البطريرك كلمة يونانية الأصل ، أو لاتينية الأصل . ومن
الطريف أن نذكر أن كازيميرسكي يجعل البطريق (بالقاف)
من اللاتينية ، ويجعل البطريرك (بالكاف) من اليونانية ، رغم
تقارب مدلول الكلمتين . وأنا أترك تحقيق هذه المسألة لحضرة
الباحث الفضال الأب أنستاس ، فهو بها من
الخبراء .

والذي يهمني هو أن أشرح لقراء الرسالة
مشكلة تنور اليوم في الليثات القبطية ،
وشرحها لا يخلو من نفع ، لأنها تنطوي
على دقائق اجتماعية وأخلاقية ، ولأن من الخير
أن يعرف قراء المجلات الأسبوعية حقيقة
ما ينشر بلا شرح في الجرائد اليومية . فإن

وقع في كلامي شيء من الخطأ فليفضل بتصحيحه أحد المطلعين
من أفاضل الأقباط .

وأواجه الغرض فأقول : الأصل أن ينتخب البطريرك من
الرهبان ، وقد سارت الأمور على هذا الأصل في جميع العصور
الحوالي ، ثم انحرفت عند انتخاب البطريرك السابق ، فقد انتخب
وهو مطران ، وبانتخابه على ذلك الوصف ضاع أعظم حق من
حقوق الرهبان .

والذين قرأوا ما نشره سعادة الأستاذ توفيق باشا دوس
في جريدة لا بومس يدركون أن المشكلة ستثار من جديد ،
مشكلة المفاضلة بين الراهب والمطران في انتخاب الرئيس الديني
الأقباط ... فما حجج الفريقين ؟

حجة القائلين بأن ينتخب البطريرك من الرهبان تقوم على

(١) لاحظت أن في الأقباط أنفسهم من يجهلون هذه المسألة الدقيقة ،
فرايت أن أشرحها بترجمة وعدل

أساس متين ، وهو سلامة الانتخاب من المؤثرات المالية ، لأن
الرهبان لا يملكون شيئاً على الإطلاق ، فمن المستحيل أن يشتروا
أصوات الناخبين ، وإذن يكون مرجع المفاضلة بين راهب
وراهب هو الشهرة بالقوى والورع والتقوى .

وحجة القائلين بأن ينتخب البطريرك من المطارنة تقوم أيضاً
على أساس ، فهم يرون أن المطارنة قد يعرفون من شؤون المجتمع
ما لا يعرف الرهبان ، بغض النظر عن تعرض الانتخاب
لمؤثرات مالية أو اجتماعية .

وهنا يسأل القارئ عن المصادر التي تجعل المطارنة أغنياء ،
بحيث يتناضلون بالقوى المالية عند الانتخاب .

ونجيب بأن البلاد المصرية من الوجهة القبطية مقسمة
إلى أبرشيات « والأبرشية كلمة يونانية معناها الإقليم » ولكل
أبرشية مطران ، فيقال : مطران المنوفية ، ومطران البحيرة ،

ومطران جرجا ، ومطران أسيوط ، إلى آخر
التقسيم .

ولكن كيف يفتنى المطران ؟

يفتنى من « الموائد » وهي جمع عادة ،
كما تجمع حاجة على حوائج ، ولك أن تجعل
مفردتها عائدة ، إن تناسيت العرف ، وهو
من أهم الأسندة اللغوية . فما تلك الموائد ؟
حين يتلطف المطران بزيارة أحد البيوت

يكون على أهل ذلك البيت أن يتلطفوا بتقديم « العادة » وهي مبلغ
من المال يقل أو يكثر تبعاً لقدرة أهل البيت ، فيكون جنبها
أو جنبهين ، وقد يصل إلى عشرين . ومن هذه الموائد تكون
ثروة المطران ، وهي ثروة مستورة لا تتعرض لرقب ولا حاسب ،
وإن كان المفهوم أنها تجمع لإسعاف الرضى ومواساة المحتاجين ،
وهي بالفعل مصدر خير لأولئك وهؤلاء .

بعد هذا الشرح نفهم كيف يخاف الراهب صولة المطران
عند الانتخاب ، فالراهب يتقدم بالدين ، والمطران يتقدم بالمال .
وقد سمعت أن للمال سلطاناً على أصوات الناخبين ، وسمعت
أيضاً أنه يزيد الأتقياء جلالة إلى جلال . وهذا وذاك يؤكدان
خوف الراهب من منافسة المطران .

أسئلة وأجوبة

من — هل من الحتم أن ينتخب بطريرك الأقباط من هيئة دينية ؟

أما بعد فهذه صورة لما يعتلج في صدور أقباط مصر بعد موت البطريرك ، وإنى لأرجو أن يكتب لهم التوفيق في اختيار البطريرك الجديد ، فهم مواطنون أعزاء ، واطمئنانهم إلى رياستهم الدينية يقع من أنفسنا موقع الجذل والارتياح وسبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يريد

بين الصنعة والطبع

إذا كتبت خطاباً في المساء فأتريه بلا تظريف ، لتسهل مراجعته في الصباح ، ولتبقى الفرصة للحذف منه أو الإضافة إليه ، فمن المؤكد أن للرأى موجات تختلف باختلاف الأوقات . وقد تنكر في بياض الصباح ، بعض ما كتبت في سواد الليل . وأنت عن موجات رأيتك مشغول

كذلك أصنع في خطاباتي ومقالاتي لهذا العهد ، ولم أكن أصنع ذلك من قبل . وإن زماناً يكف من مجوحى هو ألام الأزمان ! ما كنت أعرف الفرق بين التسويد والتبييض ، ولا كنت أستطيع معاونة الصنعة على مغالبة الطبع ، وكنت أعجب حين أسمع أن في الكتاب من ينسخ مقاله مرات قبل أن يطمئن إلى صلاحيته لمواجهة القراء

كان رأي أن جري القلم في القراطيس هو جرى الجواد في الميدان ... وللقلم أن يتلفت قبل إصابة الهدف ، إن كان للجواد أن يتلفت قبل بلوغ النرض ... ومن الحال أن يتلفت الجواد حين ينطلق في ميدان السباق ، أو ميدان القتال

وهذا المذهب في رياضة القلم هو الذى عرّضنى لكثير من الجراح ، لأنى لا أملك صده حين ينطلق ، وهل يملك الجواد بجانبه العثرات حين ينطلق ؟

فأبال الأقدار تروضنى بعد الجروح ، وتفرض على أن أتلّف ذات الحين وذات الشمال وأنا أجرى في ميدان البيان ؟

وما هذا الذى أعانى من زمانى ؟

أليس من المزعج أن أصبح من مخاطر القلم في أمان ، لأن الظروف توجب أن يرأى قلمى أشياء لا يرأىها الجواد حين ينطلق في الميدان ؟

وما قيمة الحياة الأدبية إذا خلت من المخاطر والمهلك والختوف ؟ أنا لا أعد الكاتب فارساً إلا إذا استطاع بكل سطر ، أو بكل حرف ، أن يعرض قراءه إلى الاشتباك في حروب مع المعانى والآراء والأهواء

ج - يجوز انتخابه من هيئة مدنية إذا قلت الصلاحية لهذا المنصب في الهيئات الدينية ، لأن النرض هو إقامة راع موصوف بالصدق والعدل ، ولو كان من الدينين

س - هل فكر أقباط مصر قبل اليوم في انتخاب بطرك من الهيئة المدنية ؟

ج - بعد موت البطريرك الأسبق كان من بين المرشحين لهذا المنصب رجل مدنى هو الأستاذ سابا حبشى ؛ ويقال إنه نال كثيراً من الأصوات ؛ وهذا يدل على اعتماد الأقباط لتنجيع العقاية المدنية في الحياة الدينية

س - إذا توفرت الشروط في الرجل المدنى ، فما الموجب لإيثار الرجل الدينى ؟

ج - يرى الأقباط أن منصب البطريرك هو مصدر الحياة للدير ، فمن الظير أن تبقى لساكن الديارات آمال في السيطرة الروحية على الجمهور القبطى ، وهى تعرض للزعزعة إن ضاع منهم ذلك المنصب المرموق

س - وما الخطر من زعزعة مركز الدير ؟

ج - الخطر عظيم ، لأن الدير هو أكبر الخصائص في المسيحية ؛ وضمضة الدير تضعضع هيئة الرهبان

س - وما الموجب للابقاء على الرهبانية ؟

ج - الرهبانية مفروضة على البطريرك ، ولو انتخب من بين الدينين

س - ألا تظن أن رهبنة المدنى أرق وأطف ؟

ج - أقباط مصر يقولون بغير ذلك ، وهم يرون أن الرهبنة لا توصف بالركة ولا بالطف ، وإنما توصف بالتعشف والهدوء والقنوت س - هل ترى أن البطريرك القادم من سجن الدير يصلح لمقابلة الوزراء والسفراء ؟

ج - أقباط مصر لا يطلبون البطريرك لمقابلة الوزراء والسفراء ، وإنما يطلبونه لمواساة اليتامى وهداية الأشقياء ، ولا يكون كذلك إلا حين تغلب عليه الهيئة الدينية

س - وإذا صلح الرجل المدنى لتأدية هاتين الوظيفتين ؟

ج - يكون أصلح الرجال على شرط أن ينتخب من طريق لا تعرضه الشبهات

س - وما الشبهات التى تعرض ذلك الطريق ؟

ج - هى الشبهات التى أملت إليها في مطلع هذا الحديث

فأين أنا مما أريد ؟

وأين الفرص التي تسمح بأن أجرد من قلبي مشرطاً يرفع
المنشاة عن أعين أبناء الزمان ؟

أنا اليوم أضمن السلامة من جراثي قلبي ، كارهاً غير طائع ،
لأن النظام في هذه الأيام يصد الأعلام عن عنت الجرح والطفانيان
قلبي

كيف مرّت شهور بلا جراح يُدميها سنأُنك ؟

وكيف أُمِيتُ شرّك ، ونجوت من طغيانك ؟

كيف وكيف ؟؟

بيني وبينك ميعاد وميثاق ، والأحرار لا يخلفون المواعيد ،
ولا يتقصون الواثيق

موقفه العلمي

العلمين اسم بقعة تقع في الطريق بين الإسكندرية ومرسى
مطروح ، وهي مشي عَلم ، وقد صارت بفضل حرب الصحراء
القرية أشهر من نار على عَلم أو على علمين !

والذي يراجع أخبار الصياليين قوات الحلفاء وقوات المحوريين
الصحراء يعرف أن تلك القوات لم تقف وقفة أطول من وقفها في
العلمين ، فهل كانت المقادير أرادت أن يكون لتلك التسمية هذا المصير
فتكون تلك البقعة مكان الصراع بين العلم المهاجم والعلم المدافع ؟
الهم حوالينا ولا علينا !!

ألوامه الموت^(١)

لك أن تقول ألوان الموت ، كما تقول ألوان الطعام وأصناف
الشراب ، ومن حَقَّك أن تختار لون الموت ، لأنه فنٌّ من
الفنون ، أو صنفٌ من الصنوف ، أو « ضربٌ » من الضروب ،
ولعل من واجبك أن تفكر في اختيار لون الموت ، لأن ذلك
يشهد بأنك من الأحياء . وهل يفاضل المرء بين لون ولون
إلا وهو في حيوية ذوقية أو روحية تضيفه إلى أكبر الفئتين ؟
ولتوضيح هذا المعنى أسوق الحادثة الآتية ، وقد وقعت
في مساء اليوم السادس من هذا الشهر الميمون :

قُبِيل الغروب هبَّت عاصفة عنيفة ، عاصفةٌ كادت تنقل
إلى داري جميع رمال الصحراء ، جزاء بما صنعت من التفتي
بإشراف داري على الصحراء !

(١) أكتب هذه الكلمة لإجابة لاقتراح الأستاذ إبراهيم والي

وفي ثورة تلك العاصفة يتنم الهتاف ، فأسمع صوت السيود
دي كومنين يدعوني إلى سهرة تدور فيها أكوام الحديث ،
وهو لا يقدم لأضيافه غير أكوام الحديث ، لأنّ العقل نهاء
عن الشراب قبل أن ينهائهم الطبيب

وما كادت العاصفة تسكن حتى سلكتُ الطريق إلى ذلك
الصديق ، وهو طريقٌ لا يسلكه عابرٌ في ليلة ظلماء إلا إذا
كان على ميماد مع حبيب

كان السيود دي كومنين في توحّد الليث ، فقد قضت ظلمات
الأيام الأخيرة بأن يقرّ الناس في بيوتهم ، فلا يسمر صديق
مع صديق ... ولا تسأل كيف طابت نفسي حين عرفتُ أنني
السمر الوحيد في ذلك المساء ، مع رجلٍ صيغَ روحه من
لباب الضياء

كانت غابة الليسيه في تلك الليلة تكابد الشوق إلى من يتنقل
بين أشجارها من وقت إلى وقت ، ليُسهرها بأن في الوجود
أرواحاً لم تشغلها مزيجات الحوادث عن الاستماع للأغاني المطوية
في ضمير الحفيف ... وهل تصمت أشجار مصر عن التناجي
بالحفيف في أي زمان ؟

تحدثنا بجانب كل شجرة ، وسلمنا على كل مكان ، حتى
السكان الذي أوصى للسيود دي كومنين بأن يدفن فيه ، بعد
العمر الطويل العريض

وطال الحديث حتى استغرق أكثر من خمس ساعات ،
فاستأذنت في الانصراف ، بعد أن شكرت للسيود دي كومنين
لطفه البالغ في إمتاع روحي وعقلي بذلك الحديث

ويهدف هذا الصديق بالسائق ليوصلني بالسيارة إلى داري ،
فلا يجده ، ويتأذى الحارس ليصل جناحي بضعة خطوات ، فيعرف
أنه يربط في ناحية ثانية ، فيعلن أسفه على أن أسير وحدي
في ذلك الظلام المحفوف بالحتوف ، ولكنني أطمئنته فأقول : إني
لا أعرف ولا أصدق أن في الدنيا رجلاً أقوى مني ، فليجرب
الصوص حظه في مصاولتي ، إن كان في « مصر الجديدة »
لصوص غير مُسَرَّاق القلوب ، وأنا قد نجوت من المايط الوجذانية
في مصر الجديدة ، فما خوفي على جيبتي وقد نجى قلبي ؟ !

كان الطريق موحشاً أعنف الإيجاش ، وكان الليل كأنه الليل !
طاخ ، طاخ ، طاخ !!!

والتفت فإذا للدافع تنطلق من كل صوب ، ولم يسبقها